ثانيا : أدلّة وجود الله تعالى :

الله جلّ جلاله أظهر من أن يُستدلّ على وجوده ، لأنّه هو الظاهر الذي ظهر به كلّ شيء ، وله في كلّ شيء آية تدلّ على أنّه الواحد ، لكن درج العلماء إلى الإستدلال على وجود الله تعالى لأسباب عديدة أظهرها ثلاثة أسباب :

- لإقامة الحجّة على الجاحدين الملحدين.
- ليزداد الذين آمنوا إيمانا.

-أمر الله المؤمنين أن يعبدوه بعلم و بصيرة قال تعالى : " فاعلم أنّه لا إله إلّا الله و استغفر لذنبك و للمومنين و المومنات".

وقد نهج العلماء المسلمون عامّة في الاستدلال على وجود الله تعالى منهجا علميا ، فجعلوا نقطة البداية، التأمّل في العالم وفي نظامه، باعتباره فعلا من أفعال الله تعالى، وأثرا من آثاره، ومن ثَمَّ فهو دليل يدلّ عليه، وعلامة من علاماته، بحيث تكون البداية من الفعل للانتهاء إلى وجود الفاعل، وقد أشار القرآن إلى هذا المنهج في جملته لا في تفاصيله التي دخلت إلى منهج العلماء

ومن الأدلّة التي درج العلماء على ذكرها ، أربعة :

دليل الحدوث (الخلق) ، دليلا الأنفس و الآفاق ، دليل التمانع ، دليل الفطرة .

1.دليل الحدوث (الخلق/ الإختراع):

عبّر علماء التوحيد القدامى عن قضية حدوث الكون وابتدائه من العدم بقدرة الله تعالى من خلال مسلكين اثنين :

* إثبات حدوث العالم .

* إثبات افتقاره إلى محدث .

أ.إثبات حدوث العالم

نظروا إلى الكون فوجدوا ما فيه على نوعين : نوع يقوم بذاته ، ونوع لا يقوم بلا ذات ؛ فمثلا الجسم يقوم بذاته ، ولكنّ المرض لا يكون بلا جسم ، والذرّة تقوم بذاتها و لكنّ الحرارة لا تكون بلا ذات ، وسمّوا ما يقوم بذاته الجوهر و ما لايقوم إلّا بالجوهر عَرَض ، فالذَرَّة جوهر و حرارتها عرض ، و الجسم جوهر و الصحّة عرض.

وقالوا : إنّ الجواهر لا تنفكّ عن الأعراض فما رأينا جوهرا إلّا و يلازمه عرض ما ، وكلّ عرض حادث ؛ فالظلام حادث ، فمنذ فترة كان قبله نهار ، و النهار حادث فمنذ فترة كان قبله ليل ، وحرارة الذارات مهما كانت فإنّ لها بداية و كذلك برودتها لها بداية و هكذا ؛ و إذن فما من عرض إلّا وله بداية و إذا كان لا جوهر إلّا بعرض فلا جوهر إلّا وله بداية ، فالكون كلّه جواهره و أعراضه كلّه حادث (له بداية) و ليس أزليا.

و إذا شئنا اختصار هذا الكلام الطويل في قانون عامّ فإنّنا نصوغه كالتالي :

كلّ ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

و العالم لا يخلو عن الحوادث

إذن : العالم محدَث أي مخلوق .

ب.افتقار العالم إلى مُحدِث (خالق):

اذا ثبت أنّ العالم محدَث أي مفتتح الوجود ، فإنّه يكون ممكنا ، و الممكن ما استوى طرفاه وجودا و عدما ، و لا بدّ له من مخصِّص أي من يخرجه من طور العدم إلى طور الوجود ، و ذلك المخصّص هو المحدِث أي الله تعالى .

و يمكن أن نصوغ هذا الكلام في القانون التالي :

كلّ ممكن حادث

و كلّ حادث لا بدّ من محدث

و المحدِث هو الله تعالى .

هذا الدليل الذي سمّيناه بدليل الحدوث أو دليل الخلق أو دليل الإختراع تدلّ عليه آيات كثيرة ؛ منها قوله تعالى :

" أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات و الأرض بل لا يوقنون "

" فلمّا جنّ عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربيّ ....قال يا قوم إنّي بريء مما تشركون"

2.دليلا الأنفس و الآفاق :

يجمع هذا الدليل قوله سبحانه:﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾.

وقد قال الإمام العقباني في هذا الصّدد كلاما نفيسا –يحسن نقله–: (أمّا أنّ صنعه عجيب، فذلك مدرك بالمشاهدة، فإن الإنسان إذا نظر في نفسه –دون غيره من أجناس المخلوقات– رأى عجائب صنع الله تعالى في كلّ مفصل وعضو من أعضائه؛ فخصّ سبحانه الفم الذي هو المنفذ للغذاء بأن جعل فيه قوة الذوق؛ فلا يستطيب الإنسان الحلو والمستلذ حيثما جعله من جسده حتى يجعله في فيه، وخصّ الأنف الذي هو آلة التنفس بقوة الشمّ، إلى غير ذلك من الحِكم، كما قال تعالى: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ ، وأمّا الأعضاء الباطنة، فمن نظر في علم التشريح اطلع من عجائب صنع الله تعالى على ما تعجز الدواوين عن حصره، وأمّا إذ انتقل إلى النّظر في غيره، ففي بناء النحل بيوتها أعجب العجائب، فإنّها لما كان شكل جسمها مستديرا، واحتاجت إلى بيوت تستعين بكلّ وجه من البيت أن تجعله وجها لبيت آخر، لم يكن لها شكل يحصّل لها هاتين الفائدتين أقرب من شكل المسدّس لقرب شكله من الدائرة وللتمكن من جعل كلّ وجه منه وجها لمسدّس آخر...، أفتراها وحدها فهمت هذه الدقائق التي يعجز عن إدراكها كثير من أكابر العلماء؛ أم هو إلهام من العالم الّذي لا يغرب عنه مثقال ذرة، كما أشار سبحانه في قوله: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾، وكذلك العنكبوت يخطط في نسجه أشكالا يعجز الفيلسوف عن تدبيرها، هذا النّظر في أقلّ حشرة من المخلوقات، فأمّا النظر في الأفلاك

وضبط دوراتها وتدبيراتها وعجائب صنعها، فما هو بالنّسبة إلى هذا العالم إلاّ كنقطة من بحر أو دون ذلك، فاستبان أنّ هذا الصنع عجيب).

لكن هذه الآيات التي تحدّث عنها العقباني لا يستشعرها ولا يعرف قيمتها إلا المؤمن، أمّا الكافر الّذي (يرى أن بإمكانه أن يعلّل كلّ ظاهرة من ظواهر الكون بدون الله ويخلع على الطبيعة أوصاف العلم والقدرة والإرادة والحياة) ماهو إلاّ واهم مطموس على بصره وبصيرته؛ ف،(آيات الله التي تدلّ عليه واضحة جدّا في كلّ شيء، ولكن الاهتداء إليها يحتاج إلى إنسانية أكبر، إلى أخلاق الإنسان بشكل أدق: فالآيات التي هي في الإنسان وفيمن حوله من المخلوقات تجعل المؤمن يرى الله في كلّ شيء، (ولا يمكن في حكم العقل إلاّ أن يكون الله ظاهرا وباطنا في آن واحد: ظاهر للجنان، وخفيا عن العيان؛ إذ ما يظهر للعيان خلقه، وخلقه يدلّ الجنان عليه، لذلك قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾).

3.دليل التمانع :

معنى هذا الدليل أنّ العالم بعد التأمل عُرف أنّه تحكمه إرادة واحدة عالمة قوية حكيمة تتصف بصفات الجلال والكمال، ولا توجد إرادة أخرى تضاهيها أو تنافسها أو تماثلها لأنّه لو وجدت إرادة أخرى لاختلفتا وتنازعتا ولفسد نظام العالم، يقول الحّق سبحانه﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾، ويقول أيضا: ﴿ **ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ ، ولأنّه لو وجدتا فإمّا (أن يريد أحدهما تحريك جسم بحيث يستقلّ بتحريك، فلا يخلو أن يخالفه الآخر بأن يريد تسكين الجسم، أو يوافقه بأن يريد مثل مراده، وعلى كلّ تقدير فيبطل أن يكون كلّ واحد منهما إلها.

أمّا إن خالفه، فإمّا أن تنفذ إرادتهما، أو لا تنفذ أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر.وباطل أن تنفذ الإرادتان معا، لأنّ الجسم لا يكون متحرّكا ساكنا في وقت واحد، وباطل أن يبطلا معا لأنّ الجسم الواحد لا يكون غير متحرّك ولا ساكن في وقت واحد.

وأيضا لو بطلت الإرادتان معا لكان كلّ واحد منهما عاجزا، والإله ليس بعاجز فيلزم التعطيل.

فيتعيّن نفوذ إرادة أحدهما وبطلان إرادة الآخر، فالّذي تبطل إرادته عاجز، والعاجز ليس إلها لأنّ العجز عرض، والعرض لا يقوم بذات القديم، وكما فهمت هذا في تحريك الجسم وتسكينه فأفهمه جميع الأفعال مع أصدّاءها) .

فمن خلال هذا المثال الذي ضربه العقباني نستطيع أن نتفهّم معنى دليل التمانع، الذي يعني استحالة وجود إرادة تضاهي إرادة الله وعلمه وقدرته، ومن ثمّ فهو موجود من باب أولى وهو الواحد والوحيد الّذي يسير هذا الكون وما فيه.

4.دليل الفطرة :

هذا الدليل من أقوى الأدلة و معنى الفطرة هو الخِلقة الأصلية التي جُبل عليها الإنسان من معرفة الله تعالى بالبديهة و محبّة الخير و النّفور من الشر ، ، و لكنّ هذه الفطرة قد تأتي عليها عوامل تغشّيها فتحجبها عن الوعي عند بعض الناس ، وفي سبيل استرجاع الوعي يحتاج الإنسان إلى جهد كسبيّ تزول به تلك الغشاوات الحاجبة ، ولذلك الجهد مسالك عديدة تختلف في الطبيعة لكنّها تلتقي في النّتيجة التي هي إماطة الحجب عن الفطرة ليسقرّ الإيمان في وعي الإنسان بعد أن كان مستورا محجوبا .

و الشواهد التي تدلّ على أنّ الفطرة متأصلة في الإنسان مركوزة في النفس كثيرة ، منها :

أ.الشاهد النفسي :

يقول وليم جيمس عالم النفس الكبير : (الإيمان عنصر أساسي من عناصر الطبيعة الإنسانية) أي أنّ الإنسان بطبيعته كائن متديّن ولا يمكن بحال أن يتنصّل من هذه الصّفة إلّا إذا ألغى هذا الجانب الكبير من مقوّمات ذاته فيعيش الفراغ النّفسي و التّيه الروحي .

و إذا عاند معاند هذا الشعور فلينظر في نفسه لمّا يضيق به الحال ويداهمه الخطر العظيم أو لمّا يحيق به الهلاك ويرى نفسه في أفواه الموت فإنّه حينذاك لا يملك إلّا أن يفزع إلى الله تعالى يطلب منه النجدة ، وليس ذلك إلّا فطرة الإيمان بالله تعالى ، وذلك ما يحكيه حال فرعون لما أردكه الغرق :" قال آمنت أنّه لا إله إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين".

ب.الشاهد التاريخي :

يشهد تاريخ الإنسان عبر عصوره السحيقة أنّه يمكن أن توجد مجتمعات دون حضارة و لا ثقافة و لا صناعة و لا نظام عمران لكن لا يمكن أن توجد دون دين ، يقول الباحث هنري برغسون :" لقد وجدت و توجد جماعات إنسانية من غير علوم و فنون ، ولكن لم توجد جماعة قطّ من غير ديانة" .

و إذا كانت بعض المجتمعات انحرفت في إيمانها بالله ، فاتّخذت له شركاء في العبادة فإنّ ذلك ليس إلّا تعبيرا خاطئا عن أصل الفطرة الموحّدة .

ج.مؤيّدات الوحي :

في القرءان الكريم و الحديث النبويّ شواهد كثيرة على دلالة الفطرة على الإيمان بالله ؛ من ذلك :

قوله تعالى :" فأقم وجهك للدّين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر الناس لا يعلمون"

و قوله تعالى :" صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون"

وقوله صلى الله عليه و سلّم : " إنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم و أنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم و حرّمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"

وقوله صلى الله عليه و سلّم : "كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء"

افالأيات و الأحاديث كلّها تدلّ أنّ فطرة الإنسان مائلة إلى الإقرار بالله تعالى معترفة بوجوده مقرّة بالعبودية له وحده سبحانه ، لكنّ الفطرة تنحرف و تزيغ عن أصلها بسبب إضلال الشياطين و اتّباع الأهواء و تقليد الآباء.